ضمير الفصل بين الدراسة النحوية النظرية والتطبيق القرآني

يحيى بن محمد الحكمي

ملخص

ينقسم هذا البحث إلى قسمين: الأول: دراسة نظرية، حاول الباحث فيها جمع الآراء النحوية حول ضمير الفصل من حيث ماهيته وسبب تسميته والخلاف في اسميته، وغرضه، وشروطه، ومواضعه، وأنواعه، والخلاف في إعرابه، ثم أتبع ذلك بالتعليق عند الحاجة. أما القسم الثاني فكان دراسة تطبيقية على القرآن الكريم من فاتحته إلى خاتمته.

وقد اتضح للباحث من خلال هذه الدراسة أن ضمير الفصل ينقسم باعتبار ما يحتمله من أوجه إلى: ما يحتمل الفصل والابتداء، وما يحتمل التوكيد والبدل والفصل، وما يحتمل التوكيد والفصل والابتداء، وما يحتمل التوكيد والفصل، وما يتعين فيه ضمير الفصل. كما اتضح أن البصريين والكوفيين ليسوا على اتفاق فيما يخص الضوابط التي يخضع لها ضمير الفصل.

ومن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث أيضاً ما يلي:

- تفرد موضوع "ضمير الفصل" من بين موضوعات النحو العربي بأن جل شواهده من القرآن الكريم، وشواهده الشعرية نادرة.
- عدد الآيات التي يتحتم فيها الحكم على الضمير بأنه فصل أربع آيات فقط وما سوى ذلك محتمل للفصلية وغيرها.
- تكاد تنحصر الفائدة من ضمير الفصل والغرض منه في التوكيد والاختصاص.

---

* يحيى بن محمد الحكمي، قسم اللغة العربية، كلية المعلمين في جازان، المملكة العربية السعودية.

تاريخ استلام البحث: 23/ 7/ 2003. تاريخ قبول البحث: 2004/2/23.

Abstract

The research is divided into two parts. In the first part, the researcher tries to collect the grammatical opinions on the 'separation pronoun' with regard to its origin, reasons of naming it, differences on naming it, its purposes, kinds, and differences on its inflection. All this is accompanied with commentary when needed. In the second part, the researcher conducts an applied study on the Koran from the first chapter till the last.

Through this study, The researcher has found out that the' separation pronoun' is divided, in the possible meanings it conveys, into the following:

- The possibility of conveying the meaning of separation and start;
- The possibility of conveying the meaning of confirmation, alternation and separation;
- The possibility of conveying the meaning of confirmation, separation and start;
- The possibility of conveying the meaning of confirmation and separation

The researcher has found out that the grammarians of Kufa and Basra do not agree on the rules which govern the' separation pronoun'.

Among the most important findings he has reached are also the following:

- The' separation pronoun' is unique among the items of Arabic grammar because there are only a few examples of that pronoun in the Holy Koran and poetry.
- The number of verses in the Koran in which the pronoun is considered as a pure separation pronoun are only four where as in other verses it conveys other meanings in addition to separation.
- The importance of the' separation pronoun' is almost restricted to its purpose in confirmation and specification.

مقدمة:

نبعت أهمية البحث في ضمير الفصل وتطبيقاته في القرآن الكريم من جهة أنّه من أبرز الموضوعات التي استمد النحويون شواهدها وأمثلتها من القرآن الكريم، في حين ندرت الشواهد الشعرية لهذه الظاهرة النحوية في كتب النحاة.

لكن تناوله من قبل النحويين كان مفرَّقاً في مؤلفاتهم، فقد اقتصر تناول بعض النحاة على بعض جوانب منه، وأغفل الأخرى. كما أنه لم يحظ بالتناول في كثير من الكتب النحوية. مما دفع الباحث إلى جمع شتات مادته العلمية لتكتمل الصورة، وإن أشار إلى بعض جوانبها بعض النحاة مثل ابن يعيش في المفصل، مما يمكن الباحثين من النظر إليها من كل الزوايا والجهات، فقد يخرج أحد المطلعين على مادة "ضمير الفصل" وآراء النحويين فيه بدراسة يكون هذا البحث دالاً عليها وموجهاً لها. ثم قام الباحث بعد ذلك بتحليل ومقارنة العديد من الآراء وأقوال النحاة التي أثبتت في متن البحث، إضافة إلى أن النحويين لم يتعمقوا في دور ضمير الفصل في المعنى باستثناء بعض الإيماءات حول المعنى من حيث التوكيدُ والاختصاصُ، واكتفوا في تناول ضمير الفصل من حيث فائدته اللفظية، وهي الإفادة بانّ ما بعده خبر وليس نعتاً، كما فعل ابن هشام في المغني مثلاً.

وقد اتبعت هذه الدراسة منهجاً يقوم على المزواجة بين التنظير والتطبيق فجعلتها تجري في ميدانين يرتبطان ببعضهما ارتباطاً وثيقاً فلا غنى لأحدهما عن الآخر وهما الجانب النظري والجانب التطبيقي، أمّا الجانب النظري فقد خصص لبيان الآراء النحوية حول ضمير الفصل، وتحليلها ومقارنتها، وفق منهج علمي يقوم على إفراد كل جانب من جوانب البحث في ضمير الفصل وهي: مقدمة تضمنت ماهية ضمير الفصل، وضمير الفصل بين الحرفية والإسمية، وموقعه، ووظيفته، وإعرابه، وأقسامه.

أما الجانب التطبيقي فقد خصص لدراسة ضمير الفصل دراسة تطبيقة على القرآن الكريم، واشتمل على بيان ضمير الفصل وفق الضوابط البصرية من حيث: ما يحتمل الفصل والابتداء، وما يحتمل التوكيد والبدل والفصل، وما يحتمل التوكيد والفصل والابتداء، وما يحتمل التوكيد والفصل، وما يتعين فيه ضمير الفصل. واشتمل أيضاً على بيان ما خرج من ضمير الفصل عن الضوابط البصرية وهي: وقوع ضمير الفصل بين نكرتين، ووقوع ضمير الفصل قبل المضارع، ووقوع ضمير الفصل قبل الماضي، ووقوع ضمير الفصل بين الحال وصاحبها. كما اشتمل الجانب التطبيقي على بيان دخول لام الابتداء على ضمير الفصل.

وقد تم حصر جميع ضمائر الفصل التي وردت في القرآن الكريم، ثم تم تصنيفها بحسب ترتيب سور القرآن التي وردت فيها تلك الضمائر. وحتى لا يطول البحث وتجانباً للتكرار فقد اتبع الباحث المنهج الانتقائي بحيث ينتقي بعض الآيات، الممثّلة، من المجموعات المتناظرة ويعلق عليها بإيجاز.

الدراسة النظرية:

وقع الخُلف بين النحاة في حقيقة ضمير الفصل وماهيته، فتعددت آراؤهم في حقيقته، وتباينت اجتهاداتهم في الوصف الذي يطلق عليه، لدرجة لا يستطيع الباحث التوفيق فيها بين حرص النحاة على إحكام قواعدهم واطرادها، وهذه البلبلة والتشتت. ولعل منشأ هذا التباين في اجتهاداتهم فيما سمي بضمير الفصل هو خلافهم في الوظيفة التي يؤديها هذا اللفظ في الكلام.

وسنعرض هنا أهم تلك الآراء، يقول ابن الحاجب في توصيفه هذا اللفظ: "... صيغة مرفوع منفصل مطابق للمبتدأ"[1]، ويعلق الرضى على ذلك بقوله: "صيغة مرفوع، لم يقل: ضمير مرفوع؛ لأنه اختلف فيه – كما يجيء – هل هو ضمير أم لا ؟. ولا يمكن الاختلاف في أنه صيغة ضمير مرفوع"[2].

وذهب آخرون منهم أبو حيان إلى أنه صيغة ضمير، يقول في الارتشاف: "هو صيغة ضمير منفصل مرفوع"[3]، ويرى فريق ثالث أنه ضمير، ويفهم ذلك من قول الزمخشري: (ويتوسط بين المبتدأ وخبره ...أحد الضمائر المنفصلة المرفوعة) [4]. وذهب السيوطي إلى ما ذهب إليه الزمخشري في نعته بالضمير، حيث يقول: "ضمير رفع منفصل، يقع مطابقاً لمعرفة قبل مبتدأ، او منسوخاً بعده مبتدأ"[5].

والذي يتأمل هذه التعريفات يجدها لا تخرج عن وصف هذا اللفظ بالضمير، وإن تعددت الألفاظ الدالة عليه ، والذي يبدو أن هذا الخلاف يرجع إلى خلافهم حول حرفية ضمير الفصل أو اسميته. وأيًا كان رأيهم في ذلك فإن حقيقة ضمير الفصل وما هيته التي يؤكدها الاستعمال أنه واحد من ضمائر الرفع المنفصلة: (أنا- نحن- أنتَ- أنتِ- أنتما- أنتم- أنتن- هو- .. إلخ). ولم يحدث أن استخدم بغير هذه الصيغة،وهذا يعني أنه يكون دالاً على تكلم أو خطاب أو غيبة.

والأوفق والأوجه في تعريف ضمير الفصل أن يقال: ضمير رفع منفصل، إذ إن هذا التعريف يجمع كل التعريفات السابقة، ويؤكد على هذا الواقع اللغوي لضمير الفصل نصوص اللغة، لا سيما النص القرآني الذي هو محور بحثنا هذا.

وكما اختلف النحاة في تعريف ضمير الفصل، فقد اختلفوا في اللفظ الذي يطلق عليه؛ فالبصريون أطلقوا عليه ضمير الفصل، وسماه أكثر الكوفيين عماداً، وأطلق عليه فريق ثالث لفظ "دعامة" [6]. وتعود هذه المصطلحات إلى خلاف النحاة حول وظيفة هذا الضمير، ودوره في السياق اللغوي.

ضمير الفصل بين الحرفية والاسمية:

اختلف النحاة حول ضمير الفصل بين الحرفية أو الاسمية، فاضطربت آراؤهم وتعددت تأويلاتهم، حتى إن بعضهم يعده مرة حرفاً، ويعده أخرى اسماً، ولو استعرضنا آراء النحاة لوجدنا أن الأكثرية مع الحرفية، ويؤكد هذا أبو حيان في قوله: "وأكثر النحاة يذهب إلى أنه حرف"[7].

ولعل الذي دفع النحاة إلى القول بحرفية ضمير الفصل هو أنهم لم يجدوا له وظيفة إعرابية في الكلام، ومن ثم رأوا فيه معنى الحرف، يقول ابن مالك شارحاً هذا المضمون: "فالأكثرون على أنه لا موضع له؛ لأن الغرض به الإعلام من أول وهلة بكون الخبر خبراً لا صفة، فاشتد شبهه بالحرف إذ لم يُجأ به إلا لمعنى في غيره، فلم يحتج إلى موضع من الإعراب"[8].

ويعلل الرضى لحرفية ضمير الفصل بأداء هذا الضمير لوظيفة الحرف، يقول: " ثم لما كان الغرض المهم من الإتيان بالفصل ما ذكرنا، أي: دفع التباس الخبر الذي بعده بالوصف، وهذا هو معنى الحرف، أعني إفادة المعنى في غيره صار حرفاً، وانخلع عنه لباس الاسمية، فلزم صيغة معينة، أي: صيغة الضمير المرفوع"[9].

ونقل عن البصريين والخليل أنه اسم زائد لا وظيفة إعرابية له، يقول الرضى: "والأظهر عند البصريين أنه اسم ملغى بمنزلة (ما)، إذا ألغيت في نحو إنما"[10]. ولا يبدو أن هذا النقل عن البصريين دقيق، فلو رجعنا إلى كتاب سيبويه لألفينا غير ذلك، فسيبويه بعد أن وضع هذا العنوان (هذا باب ما يكون فيه هو وأنت وأنا ونحن وأخواتهن فصلاً) قال: "وإذا صارت هذه الحروف فصلاً، وهذا موضع فصلها في كلام العرب ... "[11]. ويقول في موضع آخر من كتابه: "... ولكن يكن بمنزلة اسم مبتدأ، وذلك قولك: ما أظن أحداً هو خير منك"[12].

وفي موضع ثالث ينقل عن شيخه الخليل قوله: "والله إنه لعظيم جعلهم "هو" فصلاً في المعرفة وتصييرهم إياها بمنزلة (ما) ... إذا كانت لغواً؛ لأن هو بمنزلة أبوه، ولكنهم جعلوها في ذلك الموضع لغواً "[13].

والمتأمل للنصوص السابقة يدرك تعدد تفسيرات سيبويه وشيخه الخليل لهذه الألفاظ، فهي حروف إذا استعملت فصلاً، كما في قوله تعالى:﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق﴾ [14].

وقولك: كان زيد هو القائم، وإن لم تستعمل فصلاً فهي أسماء، كما في قراءة من قرأ برفع (الظالمون) في قوله تعالى: ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمون﴾[15]، وقول رؤية: (أظن زيداً هو خير منك)؛ فالضميران "هم"، و"هو"، اسمان، ومن ثم لهما محل من الإعراب.

ومرد هذا الخلاف في نظرة النحاة لضمير الفصل هو خلافهم في الوظيفة التي يؤديها هذا اللفظ، فإذا استعمل فصلاً ذهب عنه معنى الاسمية، يقول ابن يعيش مشيراً إلى ذلك: "وإذا جعلته فصلاً فقد سلبته معنى الاسمية وابتززته إياه وأصرته إلى حيز الحروف، وألغيته كما تلغى الحروف نحو إلغاء "ما" في قوله: (فبما رحمة من الله) فلا يكون له موضع من الإعراب"[16].

فخلاصة رأي البصريين والخليل وسيبويه أن هذه الألفاظ إذا استعملت فصلاً فهي حروف، وإذا استعملت لغير الفصل فهي أسماء، ولها محل من الإعراب.

ولا تبدو تأويلات النحاة هذه مقنعة، فهذه الألفاظ (هو وأخواتها)، أسماء وضعاً وصورة، فهي ضمائر، والضمائر أخصُّ الأسماء وأعرفها، فوسمها بضمائر الفصل أدقُّ تصويراً وأسد تفسيراً، فصلاً كانت أو غير فصل، ولا ينبغي أن تتغير هذه الوظيفة لمجرد تغير موقعها في الجملة، أو دلالتها في السياق اللغوي. وكونها لا أثر للإعراب فيها لا يعني نقلها من حيز الاسمية إلى حيز الحرفية.

وزيادة الأسماء أو إلغاؤها واقع في العربية، مثال ذلك زيادة لفظة (وجه) في قوله تعالى:﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾[17] وزيادة ذلك في قوله تعالى:﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾[18]. فإلغاء الألفاظ أو زيادتها في العربية ليسا بمستنكرين[19].

وخلاف النحاة في حرفية ضمير الفصل أو اسميته يعود إلى خلافهم في كيفية إعرابه، فالمنقول عن البصريين أنه اسم ملغى لا موضع له من الإعراب[20]، وذلك أنه لو كان له محل لطابق في الإعراب ما قبله أو ما بعده، وقد علل الأنباري لمذهب البصريين بقوله: "إنه لا موضع له من الإعراب، لأنه إنما دخل لمعنى وهو الفصل بين النعت والخبر، ولهذا سمي فصلاً، كما تدخل الكاف للخطاب في ذلك، وتلك، وتثني وتجمع، ولا حظَّ لها في الإعراب، وما التي للتوكيد، ولا حظَّ لها من الإعراب..فكذلك ها هنا"[21]

والكوفيون يرون أن له موضعاً من الإعراب، ولكنهم اختلفوا في هذا الموضع، فالفراء يرى أن محله محل ما قبله، ويعكس الكسائي القضية فيرى أن محله محل ما بعده، ففي قولنا: كان زيد هو القائم، محله نصب عند الكسائي، ورفع عند الفراء.

ومنشأ هذا الخلاف يرجع إلى عدم الوظيفة الإعرابية أو الموقعية لضمير الفصل في الجملة، لذا حار النحاة في محله، والذي يمعن النظر في مواقع ضمير الفصل في الكلام يدرك أنه ليس له موقع من الإعراب إن تعينت فيه الفصلية؛ لأنه حينئذ لا يعمل في غيره ولا يعمل فيه غيره، وإن لم تتعين فيه الفصلية كان له محل من الإعراب.

وبعض العرب – وهم بنو تميم – يجعلونه مبتدأ خبره ما بعده، يقول سيبويه حاكياً هذه اللغة: "وقد جعل ناس كثير من العرب "هو" وأخواتها في هذا الباب بمنزلة اسم مبتدأ، وما بعده مبني عليه .. فكأنك تقول: أظن زيداً أبوه خير منه... فمن ذلك أنه بلغنا أن رؤبة كان يقول: أظن زيداً هو خير منك .. وحدثنا عيسى أن ناساً كثيراً يقرءونها (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمون) [22].

مواضع ضمير الفصل:

لضمير الفصل مواضع اشتهرت عند النحاة لوجود شواهد فصيحة تؤيدها، هي[23]:

- بين المبتدأ والخبر، مثل قوله تعالى:﴿أولئك هم المفلحون﴾ [24].
- بين اسم كان وخبرها، أو بين اسم إحدى أخواتها وخبرها، مثل قوله تعالى:﴿كنت أنت الرقيب عليهم﴾[25]
- بين اسم إن وخبرها، أو بين إحدى أخواتها وخبرها، مثل قوله تعالى:﴿وإنا لنحن الصافون﴾ [26].
- بين مفعولي ظن، أو مفعولي إحدى أخواتها، مثل قوله تعالى:﴿ إن ترن أنا أقل منك مالاً﴾ [27]، وقوله تعالى:﴿تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً﴾ [28].

كما أن لضمير الفصل مواضع أخرى ليست محل اتفاق النحويين؛ فقد ذهب بعضهم إلى أنه يأتي في مواضع أخرى، منها:

- قبل الفعل الماضي.
- قبل الفعل المضارع.
- بين الحال وصاحبها.
- بين نكرتين.

وظيفة ضمير الفصل:

بما أن ضمير الفصل قد استخدم في النص العربي بداية من أعلى مستوى له، وهو القرآن الكريم، فلا يمكن أن يتبادر لذهن أحد أن ضمير الفصل لا غرض له ولا فائدة ترجى من ورائه في الكلام؛ فالغرض من دخول الفصل في الكلام:

- إرادة الإيذان بتمام الاسم، وكماله، وأن الذي بعده خبر وليس بنعت [29] .
- الإيذان بأن الخبر معرفة أو ما قاربها من النكرات[30] .
- فصل الخبر عن النعت، قال الرضي[31]: "فكأن القياس ألا يجيء إلا بعد مبتدأ ناسخ أو منصوب بفعل قلب بشرط كونه معرفة غير ضمير، وكون خبره ذا لام تعريف صالحاً لوصف المبتدأ به، وذلك أنه إذا دخل على المبتدأ ناسخ يتميز به الخبر عن النعت بسبب تخالف إعرابهما نحو"كان" أو "إن" أو "ما" الحجازية، لم يحتج إلى الفصل، وإذا كان المبتدأ نكرة لم يؤت بالفصل؛ لأنه يفيد التأكيد، ولا تؤكد النكرة إلا بما سبق استثناؤه في باب التوكيد"[32].
- الإعلام من أول وهلة بكون ما بعده خبراً لا صفة [33]،قال الزمخشري: "ويتوسط بين المبتدأ وخبره ... ليؤذن من أول أمره بأنه خبر لا نعت، وليفيد ضرباً من التوكيد "[34].
- التأكيد، حيث قال أبو حيان: "فائدة الفصل عند الجمهور التأكيد"[35] ، وقال الرضي: "وإنما قلنا: إن الفصل يفيد التأكيد لأنه معنى: زيد هو القائم، زيد نفسه القائم، لكنه ليس تأكيداً[36] لأنه يجيء بعد الظاهر والضمير، والضمير لا يؤكد به الظاهر .. فلا يقال: مررت بزيد هو نفسه "[37]. وقال ابن يعيش: "وإنما اشترط أن يكون من الضمائر المنفصلة المرفوعة الموضع؛ لأن فيه ضرباً من التأكيد، والتأكيد يكون بضمير المرفوع المنفصل نحو قمت أنا و﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾[38]. كذلك من المعنى وجب أن يكون المضمر الأول في المعنى، لأن التأكيد هو المؤكد في المعنى، ولهذا المعنى يسميه سيبوية وصفاً كما يسمي التأكيد المحض"[39].
- الاختصاص، فقد ذهب السهيلي[40] إلى أن ضمير الفصل يفيد الاختصاص، فإذا قلت كان زيد القائم، كان إخباراً عن زيد بالقيام، واحتمل أن يكون غيره قد شاركه فيه، وإذا قلت كان زيد هو القائم أفاد تخصيصه بالقيام دون غيره.

إعراب ضمير الفصل:

اختلف النحاة في إعراب ضمير الفصل، كما اختلفوا في ماهيته، فالأظهر عند البصريين أنه اسم ملغـــي لا محل له من الإعراب بمنـــزلة "ما" إذا ألغيت في نحو: "إنما" [41] أي أنه حرف لا محل له مـــن الإعـــراب. أمـــا الكوفيون فيجعلون له محلاً من الإعراب ويقولون: هو تأكيد لما قبله، فإن الضمير المرفوع قد يؤكد به المنصوب والمجرور[42].

وقد وقع الخلاف بين النحويين في حكمه عندما يكون له موقع، فذهب الكسائي إلى أن محله محـــل مـــا بعده[43].وحجته لما ذهب إليه لأنه يقع مع ما بعده كالشيء الواحد، ولذا تدخل عليه لام الابتداء في نحـــو: إن هذا لهو القصص الحق﴾ [44]. وذهب الفراء إلى أن محله كمحل ما قبله.

وعلى رأيهما ففي قولنا: زيد هو القائم محله رفع .. وفي قولنا: ظننت زيداً هو القائم محله نصب، وفي كان زيد هو القائم محله عند الكسائي نصب، وعند الفراء رفعو في إن زيداً هو القائم بالعكس [45].

ويجعله بعض العرب مبتدأ ما بعده خبره [46] فلا ينتصب ما بعده في باب" كان "وباب"علمت" و"مـــا" الحجازية، وعليه ما نقل في غير السبعة:﴿ولكن كانوا هم الظالمون﴾ [47]،و﴿إن ترن أنا أقلَّ ﴾[48] بالرفع [49].

وقد رد الرضى على الكوفيين بقوله: "ويرد عليهم بأن المضمر لا يؤكد به المظهر، فلا يقال: جاءني زيـــد هو، على أن الضمير لزيد. ونحن نقول: إن زيداً هو القائم، ويرد عليهم أيضاً أن اللام الداخلة في خـــبر "إن" لا تدخل في تأكيد الاسم، فلا يقال: "إن زيداً لنفسه كريم" [50].كما رد رأي الكسائي بقوله: "وهو أضعف مـــن قول الكوفيين" لأننا لم نر اسماً يتبع ما بعده في الإعراب[51].

أما من المحدثين فقد ذهب عباس حسن إلى أن أنسب الآراء وأيسرها هو الرأي الذي يتضمـــن الأمريـــن التاليين[52]:

- أنه في الحقيقة ليس ضميراً "بالرغم من دلالته على التكلم أو الخطاب أو الغيبة "وإنما هـــو خـــالص الحرفية، لا يعمل شيئاً فهو مثل "كاف الخطاب" في أسماء الإشارة، وفي بعض كلمات أخرى مثـــل: ذلك، تلك ،.. فمن الأنسب أيضاً تسميته: "حرف الفصل"، ولا يحسن تسميته "ضمير الفصـــل" إلا مجازاً بمراعاة شكله وصورته الحالية، وأصله قبل أن يكون لمجرد الفصل.
- أن الاسم الذي بعده يعرب على حسب حاجة ما قبله من غير نظر ولا اعتبـــار لحـــرف الفصـــل الموجود، فيجري الإعراب على ما قبل حرف الفصل وما بعده من غير التفات إليـــه فكأنـــه غـــير

موجود ؛ لأنه حرف مهمل (أي لا يعمل)، والحرف لا يكون مبتدأ ولا خبراً، ولا غيرهما من أحوال الأسماء، وإذا كان غير عامل فإنه لا يؤثر في غيره تأثيراً إعرابياً على الرغم من فائدته التي اقتضت وجوده.

لكنه استثنى حالة يكون ضمير الفصل فيها اسماً، قال: "لكن هناك حالة يكون فيها اسماً، ويجب إعرابه وتسميته فيها:ضمير الفصل، وهي نحو: كان السباق هو على (رفع كلمة السباق وكلمة على) حيث لا مفر من اعتبار "هو" ضميراً مبتدأ مبنياً على الفتح في محل رفع وخبره كلمة "علىٌ" المرفوعة .. والجملة من المبتدأ والخبر في محل نصب خبر "كان" وبغير هذا الاعتبار لا نجد خبراً منصوباً لكان "[53].

والذي يفسد ما ذهب إليه عباس حسن من اعتبار هذا الضمير حرفاً أن هذا الضمير تدخل عليه لام الابتداء نحو قوله تعالى:﴿ إنا لنحن الصافون﴾ [54]، وقوله تعالى ﴿وإنا لنحن المسبحون﴾ [55]. وقد نص الزمخشري وغيره على أن لام الابتداء لا تدخل إلا على جملة من مبتدأ أو خبر فهي خاصة بالأسماء لا تدخل على الحروف[56].

أقسام ضمير الفصل:

ينقسم ضمير الفصل باعتبار معناه إلى ثلاثة أقسام [57]:

1- للمتكلم: نحو قوله تعالى: ﴿إني أنا الله﴾ [58].

2- للمخاطب: نحو قوله تعالى: ﴿إنك أنت العليم الحكيم﴾ [59].

3- للغائب: نحو قوله تعالى: ﴿إنه هو البر الرحيم﴾ [60].

كما ينقسم ضمير الفصل باعتبار العدد إلى ثلاثة أقسام أيضاً:

1- مفرد: نحو قوله تعالى: ﴿كنت أنت الرقيب عليهم﴾ [61].

2- مثنى: نحو قوله صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه ... الحديث"[62].

3- جمع: نحو قوله تعالى: ﴿إنا لنحن الصافون﴾ [63].

شروط ضمير الفصل:

ضمير الفصل، شأنه شأن غيره من الموضوعات النحوية، لابد له من شروط تحدد هيئته وترشد إلى مواقعه في الكلام. ومعرفة هذه الشروط أمر لازم لمعرفة ضمير الفصل من غيره؛ لأن ثمة أشياء تشتبه به وتحتمل موقعه، مما دفع الباحث إلى استقراء آراء النحاة وتتبع موقعه في الجملة، وأمكنه الوقوف على هذه الشروط وتصنيفها إلى أقسام ثلاثة، هي:

1- شروط تتصل بذات ضمير الفصل: له شرطان، هما:

- أن يكون ضمير الفصل من ضمائر الرفع المنفصلة، لذا يمتنع نحو: زيد إياه الفاضل، والسبب في ذلك كما يقول ابن يعيش:(لأن فيه ضرباً من التأكيد، والتأكيد يكون بضمير المرفوع المنفصل، نحو – قمت – أنا – (اسكن أنت وزجك الجنة)[64].

أن يطابق ما قبله في الدلالة على التكلم أو الخطاب أو الغيبة ، مثل قوله تعالى:﴿فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم﴾[65]، وقوله تعالى: ﴿ إنه هو الغفور الرحيم﴾[66]، وقوله تعالى: ﴿إنني أنا الله﴾[67] وليس من الفصل مثل قولنا كنت هو الفاضل) لافتقاد المطابقة، مثل قول جرير[68] :

وكائن بالأباطح من صديق يراني لو أصبت هو المصابا

لأن "هو" ضمير غائب و"ني" ضمير متكلم. وقد عدّه بعض النحاة فصلاً على تقدير حذف مضاف كأنه قال: يرى مصابي هو المصابا[69].

2- شروط تتصل بما قبل الضمير: له شرطان أيضاً وهما:

- كونه معرفة، مثل قوله تعالى:﴿فأولئك هم المفلحون﴾[70]، والعلة في ذلك أن في الفصل ضرباً من التأكيد، ولفظه لفظ المعرفة، فوجب أن يكون الاسم الجاري عليه معرفة، كما أن التأكيد كذلك. وقد أجاز بعض الكوفيين كونه نكرة، نحو: ما ظننت أحداً هو القائم، وكان رجل هو القائم، وحملوا عليه قوله تعالى:﴿أن تكون أمة هي أربى من أمة﴾[71]، فقدروا (أربى) منصوبة[72]. وذهب قوم إلى جواز كونه نكرة في امتناع دخول (أل) عليه نحو: ما أظن أحداً هو خيراً منك. وذهب آخرون إلى جواز كونه اسم لا النافية للجنس نحو لا رجل هو منطلق. لكن هذه الآراء الأخيرة تبقى اجتهادات لا يؤيدها دليل من نص موثوق به شعراً أو نثراً.

- أن يكون مبتدأ في الحال أو في الأصل، وهذا يعني أن ضمير الفصل يقع بين المبتدأ وخبره، أو ما أصله المبتدأ، كالمبتدأ الذي تدخل عليه الحروف والأفعال الناسخة، كقوله تعالى:﴿أولئك هم الوارثون﴾ [73]، وقوله تعالى: ﴿وكنا نحن الوارثين﴾ [74]، وقوله تعالى: ﴿ إن ترن أنا أقل منك مالاً وولداً﴾[75]، وقوله تعالى: ﴿وإنا لنحن الصافون ﴾[76]، وقوله تعالى: ﴿ تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً ﴾ [77]. وأجاز الأخفش وقوع الفصل بعد غير المبتدأ (صاحب الحال)، مثل: جاء زيد هو ضاحكاً، وجعل منه قراءة من قرأ بنصب (أطهر) في قوله تعالى:﴿هؤلاء بناتي هن أطهر لكم﴾[78]. وقد لحّن أبو عمرو قارئ هذه القراءة، يقول سيبويه: (فزعم يونس أن أبا عمرو رآه لحناً، وقال: احتبي ابن مروان في ذه في اللحن) [79]. ومن رفضوا الفصل فيها خرجوها على الابتداء والخبر، فهن: مبتدأ، ولكم: خبره [80].

3- شروط تتصل بما بعد ضمير الفصل: وله شرطان هما:

- أن يكون خبراً في الأصل أو الحال، كقوله تعالى: ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ [81]، وقوله تعالى:﴿إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين﴾ [82].

- أن يكون معرفة (ولا خلاف بين النحاة فيه)، أو ما أشبه المعرفة، وقد وقع الخلاف فيه؛ لأن هذا الشبه – لعمومية مفهومه – محل اجتهاد من النحويين. وحكمة هذا الشرط أن ما بعده لا يجوز إلا أن يكون نعتاً لما قبله، ونعت المعرفة معرفة، وهذا يفسر قولهم "أن يكون – أي الفصل – بين معرفتين".

ويقصد بما أشبه المعرفة "أفعل من كذا" لأنه يشبه المعرفة وإن لم يكن معرفة، لأنه غير مضاف ولا يقبل(أل)، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم﴾ [83] ولو قلت: ما ظننت أحداً هو خيراً منك، لم يكن فصلاً؛ لأنه لم يأت بعد معرفة، كذا لا يجوز: ما ظننت زيداً هو قائماً، لأن الذي بعده ليس معرفة. وجوّز بعض النحاة وقوع الفصل قبل المضارع، لمشابهة المضارع للاسم، وجعلوا منه قوله تعالى: ﴿ومكر أولئك هو يبور﴾ [84]. بل إن بعضهم[85] أجاز وقوع الفصل قبل الماضي، وجعل منه: ﴿وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا﴾ [86].

الدراسة التطبيقية على القرآن الكريم

ضمير الفصل وفق الضوابط البصرية:

بعد استقراء القرآن الكريم وفق الضوابط التي وضعها البصريون لضمير الفصل، يمكن تقسيمه بحسب ما يحتمل من الأوجه إلى خمسة أقسام:

القسم الأول: ما يحتمل الفصل والابتداء:

1- بين المبتدأ والخبر:

هـــو

م	الآيـــــة	رقمهـــا	السورة
1	﴿ وَاللّهُ هُوَ السّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	76	المائدة
2	﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾	72	التوبة
3	﴿ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾	111	التوبة
4	﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾	64	يونس
5	﴿ ذَلِكَ هُوَ الضّلاَلُ الْبَعِيدُ﴾	18	إبراهيم
6	﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾	11	الحج
7	﴿ذَلِكَ هُوَ الضّلاَلُ الْبَعِيدُ﴾	12	الحج
8	﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنّي لِسَاناً ﴾	34	القصص
9	﴿ وَاللّهُ هُوَ الْغَنِيّ الْحَمِيدُ﴾	15	فاطر
10	﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾	32	فاطر
11	﴿ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾	15	الزمر
12	﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾	9	غافر
13	﴿ فالله هو الولي وهو يحيي الموتى ﴾	9	الشورى
14	﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾	57	الدخان
15	﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾	30	الجاثية
16	﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾	12	الحديد

الضمير هنا يحتمل الفصل والابتداء، أما الفصل فعلى أن ما بعده خبر المبتدأ وأما على الابتداء فهو مبتدأ ثان وما بعده خبره، وهما خبر المبتدأ الأول، وعليه يكون الإخبار عن المبتدأ بجملة اسمية.

وقد جوّز ابن هشام في هذا التركيب ونحوه ثلاثة أوجه قال في شرح الشذور: "وقد قالت العرب: زيد هو الفاضلُ، وجوّز النحويون في "هو" أن يكون بدلاً وأن يكون مبتدأ، وأن يكون فصلاً على أساس أنه يجوز إبدال المضمر من الظاهر"[87].

والمتأمل في قوله تعالى:﴿فالله هو الولي﴾ يلمح اندهاشاً يطوي تحت ابطيه انكاراً، فقد انتقل من تقرير حقيقة أن الظالمين لا ولي لهم ولا نصير إلى الإضراب إلى اتخاذ هؤلاء أولياء من دون الله، فلزم لكل ذلك أن يقرر أن الولاية لله ولما لم تكن هذه الولاية مما انفردت به هذه الآية مثل قوله تعالى:﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين أتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾[88]. جاء بالفصل في الآية الأولى ليميزها عن غيرها؛ لأن ما دلّ عليه السياق جعل وجود الفصل مما لا محيد عنه ويؤكد اختصاصه تعالى بالولاية وأنه لا مثابة إلا إليه.

هي

م	الآية	رقمها	السورة
1	﴿ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ﴾	40	التوبة

هـــم

م	الآيـــــة	رقمهـــا	السورة
1	﴿ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾	5	البقرة
2	﴿ أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾	27	البقرة
3	﴿ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾	121	البقرة
4	﴿ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾	157	البقرة
5	﴿ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾	177	البقرة
6	﴿ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾	5	البقرة
7	﴿ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾	5	البقرة
8	﴿ أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾	27	البقرة
9	﴿ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾	121	البقرة
10	﴿ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾	157	البقرة
11	﴿ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾	177	البقرة
12	﴿ فَأُولَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	229	البقرة
13	﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾	254	البقرة
14	﴿ وَأُولَـئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾	10	آل عمران
15	﴿ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾	82	آل عمران
16	﴿ وَأُولَـئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ﴾	90	آل عمران
17	﴿ فَأُولَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	94	آل عمران
18	﴿ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾	104	آل عمران
19	﴿أُولَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً ﴾	151	النساء
20	﴿ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾	44	المائدة
21	﴿فَأُولَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾	45	المائدة
22	﴿ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾	47	المائدة
23	﴿ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾	8	الأعراف
24	﴿ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾	157	الاعراف

25	﴿ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾	178	الأعراف
26	﴿ أُولَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾	179	الأعراف
27	﴿أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً﴾	4	الأنفال
28	﴿ أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾	37	الأنفال
29	﴿ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً﴾	74	الأنفال
30	﴿ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾	10	التوبة
31	﴿ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾	20	التوبة
32	﴿فَأُولَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	23	التوبة
33	﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾	69	التوبة
34	﴿ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	88	التوبة
35	﴿ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾	105	النحل
36	﴿ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾	108	النحل
37	﴿ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾	7	المؤمنون
38	﴿أُولَـئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾	10	المؤمنون
39	﴿ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾	102	المؤمنون
40	﴿ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾	4	النور
41	﴿ فَأُولَـئِكَ عِندَ اللّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾	13	النور
42	﴿ بل أُولَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	50	النور
43	﴿ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	51	النور
44	﴿ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْفَآئِزُونَ﴾	52	النور
45	﴿فَأُولَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾	55	النور
46	﴿ أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾	52	العنكبوت
47	﴿ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	38	الروم
48	﴿ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾	39	الروم

49	﴿ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾	5	لقمان
50	﴿ وَأُولَـئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ﴾	18	الزمر
51	﴿ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾	33	الزمر
52	﴿ أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾	63	الزمر
53	﴿ أُولَـئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾	7	الحجرات
54	﴿ فَأُولَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	11	الحجرات
55	﴿ أُولَـئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾	15	الحجرات
56	﴿ أُولَـئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾	19	الحديد
57	﴿ أُولَـئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾	8	الحشر
58	﴿ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	9	الحشر
59	﴿ أُولَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾	19	الحشر
60	﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾	20	الحشر
61	﴿ فَأُولَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	9	الممتحنة
62	﴿ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾	9	المنافقون
63	﴿ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	16	التغابن
64	﴿ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾	31	المعارج
65	﴿أُولَـئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾	42	عبس
66	﴿ أُولَـئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾	6	البينة

في قوله تعالى: ﴿أولئك هم المفلحون﴾ أشار المعربون إلى جواز الوجهين في الضمير"هم" قال أبو جعفر[89] هم " ابتداء ثان ... ويجوز أن يكون "هم" زيادة يسميها البصريون فاصلة، ويسميها الكوفيون عماداً والمفلحون خبر "أولئك".

والضمير "هم" أفاد اختصاص أولئك بالخبر دون سواهم فهم المفلحون دون سواهم بسبب ما ينسب إليهم من عمل وإيمان.

وقد أشار أصحاب كتب أعاريب القرآن[90] إلى جواز الوجهين، أعني الابتداء والفصل في قوله تعالى: ﴿ أولئك هم الخاسرون﴾ فذكر "هم" تمييز لهم واختصاص بما نسب إلى المبتدأ من خبر؛ أي: أن الخسران يختص به أولئك بسبب ما اقترفوه من جرائم.

﴿وأولئك هم المهتدون ﴾ قال أبو جعفر[91] "أولئك مبتدأ و "هم" ابتداء ثان .... وإن شئت كانت "هم" زائدة توكيداً والمهتدون الخبر وفائدة ذكر الضمير "هم" النصّ على استحقاق المبتدأ بما حكم به عليه من الاهتداء كأنه قال: هم هم المهتدون.

﴿وأولئك هم المؤمنون حقاً﴾ جاء بالفصل لتوكيد صفة الإيمان؛ لأن سياق الآيات يدل على ذلك، فلو تأملنا الآيات التي سبقت هذه الآية لوجدنا التوكيد منصباً على الإيمان قال تعالى: ﴿وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين* إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ فمعنى إن (كنتم مؤمنين) إن كنتم كاملي الإيمان واللام في قوله (إنما المؤمنون) إشارة إليهم أي: إنما الكاملو الإيمان من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله: ﴿ وأولئك هم المؤمنون حقاً﴾.

2 – بين معمولي "إن"

هو

م	الآية	رقمها	السورة
1	﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىَ ﴾	120	البقرة
2	﴿ قالوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ﴾	17	المائدة
3	﴿ قالوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾	72	المائدة
4	﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىَ ﴾	71	الأنعام
5	﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ ﴾	117	الأنعام
6	﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾	119	الأنعام
7	﴿ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾	104	التوبة
8	﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾	118	التوبة

9	﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾	66	هود
10	﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾	50	الحجر
11	﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ﴾	86	الحجر
12	﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ﴾	125	النحل
13	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾	6	الحج
14	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾	62	الحج
15	﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾	25	النور
16	﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾	26	لقمان
17	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾	30	لقمان
18	﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	56 - 20	غافر
19	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾﴾	15	فصلت
20	﴿ أَنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ العليم﴾	36	فصلت
21	﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	5	الشورى
22	﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴾	64	الزخرف
23	﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ﴾	58	الذاريات
24	﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾	30	النجم
52	﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾	24	الحديد
26	﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾	6	الممتحنة
27	﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاَهُ ﴾	4	التحريم
28	﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾	7	القلم
29	﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾﴾	3	الكوثر

﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾ هو ضمير فصل بين اسم إنّ " هدى الله " وخبرها -- الهدى إشـــارة إلى أن هدى الله هو الهدى الحقيقي الذي لا يضل متبعه، ويجوز أن يكون مبتدأ وما بعده خبره وهما خبر إن " إشـــارة إلى أن هدى الله مستمر لا ينقطع بالأهواء حيث أخبر عنه بالجملة الاسمية".

﴿ قالوا إن الله هو المسيح﴾ يحتمل "هو" الابتداء والفصل وذكر "هو" يدل على بعد ضلال القائل، وجزمه على ما يقول كأنه يقول- وتعالى الله عما يقول - إن الله هو ذاته المسيح لا شيء سواه ولا إله غيره.

في قوله تعالى :﴿ألم يعلموا أنّ الله هو يقبل التوبة عن عباده﴾ قال أبو جعفر[92] و"هو" فاصلة وإن شئت مبتدأه وإذا أجلنا النظر في قوله تعالى:﴿إن الله هو السميع البصير﴾ وجدنا أن الفصل يؤكد صفتين من صفات الله تعالى ويحقق اختصاصه سبحانه على جهة الكمال فهو سميع بصير في كل حال فلم جاء بالفصل هنا ؟

إذا عدنا إلى الآيات التي سبقت هذه الآية وجدنا الإجابة، فالآية التي تسبق آية الفصل تشمل شيئاً قريباً من ذلك قد أثر في الفائدة التي يعطيها وجود الفصل كالتوكيد أو الاختصاص أو سواهما إذ يقول جلّ ثناؤه﴿علم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾ فالآية الأولى تقرير للثانية، وسياق الآية القريبة من الآية التي ورد فيها الفصل يفيد أن علمه سبحانه يصل إلى خائنة الأعين وما تخفي الصدور قد أثر في وجود الفصل لمشاكلة الآية الثانية الأولى من جهة ومن ثم أتى بالفصل توكيداً لهذه المناسبة والمشاكلة بينهما ولولا ذلك فلا مزية لوجود الفصل[93].

هي

م	الآية	رقمها	السورة
1	﴿ وَإِنّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾	39	غافر
2	﴿إِنّ نَاشِئَةَ اللّيْلِ هِيَ أَشَدّ وَطْأً ﴾	6	المزمل
3	﴿فَإِنّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾	39	النازعات
4	﴿فَإِنّ الْجَنّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾	41	النازعات

هم

م	الآية	رقمها	السورة
1	﴿ فَإِنّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾	56	المائدة
2	﴿ إِنّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾	67	التوبة
3	﴿ أَنّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النّارِ ﴾	43	غافر
4	﴿ أَلاَ إِنّ حِزْبَ الشّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾	19	المجادلة
5	﴿ أَلاَ إِنّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾	22	المجادلة

القسم الثاني: ما يحتمل التوكيد والبدل والفصل :

بين معمولي كان أو إحدى أخواتها:

نحـــن

م	الآيـــــــة	رقمهـــا	السورة
1	﴿ إِنَّ لَنَا لأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾	113	الأعراف
2	﴿ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾	115	الأعراف
3	﴿ أَإِنَّ لَنَا لأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾	41	الشعراء
4	﴿ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾	58	القصص

أنت

م	الآيـــــــة	رقمهـــا	السورة
1	﴿ كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾	117	المائدة

هـــم

م	الآيـــــــة	رقمهـــا	السورة
1	﴿ كَانُواْ هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾	92	الأعراف
2	﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ الْغَالِبِينَ﴾	40	الشعراء
3	﴿وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُواْ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾	116	الصافات
4	﴿ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾	21	غافر
5	﴿ وَلَـكِن كَانُواْ هُمُ الظَّالِمِينَ﴾	76	الزخرف
6	﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾	52	النجم

الضمير(هنا) يحتمل ثلاثة أوجه إعرابية في هذا التركيب وأمثاله:

- التوكيد على سبيل التبعية، وضمير الفصل يؤكد به كل ضمير متصل مرفوعاً كان أو منصوباً أو مجروراً.
- البدلية، وهو على سبيل التبعية أيضاً وإن كانت البدلية جائزة على قدر جواز البدل.
- الفصل، وهو ضمير جرى مجرى الحروف فلا موضع له من الإعراب.
- ويمتنع إعرابه مبتدأ؛ لأن ما بعده منصوب خبر " كان " أو إحدى أخواتها.

القسم الثالث: ما يحتمل التوكيد والفصل والابتداء (لا يكون إلا بين معمولي إنّ):

الضمير هنا – يجوز فيه ثلاثة أوجه إعرابية في كل تركيب على هذا النمط:

1- التوكيد، ذلك أن الضمير المنفصل يقع توكيداً للضمير المتصل أيًّا كان موقعه الإعرابي .

2- الابتداء؛ لأن ما بعده صالح لأن يكون خبراً له، لأنه مرفوع.

3- الفصل فيصير بمنزلة الحرف لا موضع له من الإعراب.

وتمتنع هنا البدلية، لعدم المطابقة إعرابياً بين البدل والمبدل منه.

﴿إنك أنت العليم الحكيم﴾ أشار المعربون إلى احتمالات ثلاثة في "أنت" قال أبو جعفر[94]: " أنت في موضع نصب توكيداً للكاف، وإن شئت كانت رفعاً بالابتداء والعليم خبره والجملة خبر إن، وإن شئت كانت فاصلة لا موضع لها".

أنـا

م	الآيـــة	رقمهـا	السورة
1	﴿ إِنِّيَ أَنَاْ أَخُوكَ ﴾	69	يوسف
2	﴿ نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	49	الحجر
3	﴿ وَقُلْ إِنِّيَ أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾	89	الحجر
4	﴿ إِنِّيَ أَنَاْ رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾	12	طه
5	﴿ إِنَّنِيَ أَنَا اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أَنَاْ ﴾	14	طه
6	﴿ يَمُوسَىَ إِنَّهُ أَنَا اللّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمِ ﴾	9	النمل
7	﴿ يَمُوسَىَ إِنِّيَ أَنَا اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	30	القصص

أنت

م	الآيـــــة	رقمهـا	السورة
1	﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾	32	البقرة
2	﴿ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾	127	البقرة
3	﴿ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيم ﴾	128	البقرة
4	﴿ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾	129	البقرة
5	﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾	8	آل عمران
6	﴿ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	35	آل عمران
7	﴿ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	118	المائدة
8	﴿ لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى ﴾	68	طه
9	﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾	35	ص
10	﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	8	غافر
11	﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾	49	الدخان
12	﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	5	الممتحنة

أنتم

م	الآيـــــة	رقمهـا	السورة
1	﴿ إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾	64	الأنبياء

في قوله تعالى ﴿إنه هو الغفور الرحيم﴾ جاء الفصل ليؤكد سياق الآية الدالة على كمال الرحمة والمغفرة منه تعالى ﴿ألا إنهم هم المفسدون﴾ ذكر أبو جعفر النحاس[95] أن "هم" يحتمل أن يكون توكيداً أو مبتدأ أو فصلاً. وقد أفاد ذكر "هم" اقتصار الحكم عليهم فهم أهل السفه لا أحد سواهم .

﴿إنه هو التواب الرحيم﴾ قال أبو جعفر[96]: هو رفع بالابتداء، والتواب خـــبره .. ويجـوز أن تكـون "هو" توكيداً للهاء، ويجوز أن يكون فاصلة، فقد أشار إلى الاحتمالات الثلاثة.

هـــو

م	الآيـــــة	رقمهـا	السورة
1	﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾	37	البقرة
2	﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّاب الرَّحِيمُ﴾	54	البقرة
3	﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	61	الأنفال
4	﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	34	يوسف
5	﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾	83	يوسف
6	﴿ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	98	يوسف
7	﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾	100	يوسف
8	﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	1	الإسراء
9	﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	220	الشعراء
10	﴿ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	16	القصص
11	﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	26	العنكبوت
12	﴿ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	53-39	الزمر
13	﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	6	الدخان
14	﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾	42	الدخان
15	﴿ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾	30	الذاريات
16	﴿ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾	28	الطور
17	﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾	49	النجم

هـــم

م	الآيـــــــة	رقمهـــا	السورة
1	﴿ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾	12	البقرة
2	﴿ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَآءُ ﴾	13	البقرة
3	﴿ لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾	22	هود
4	﴿ لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرونَ﴾	109	النحل
5	﴿ أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ﴾	111	المؤمنون

القسم الرابع: ما يحتمل التوكيد والفصل:

بين معمولي ظن أو إحدى أخواتها:

الضمير في هذا التركيب يمتنع أن يكون مبتدأ لعدم صلاحية ما بعده لأن يكون خبراً له، لأنه منصـــوب، ولهذه العلة أيضاً لا يصلح أن يكون بدلاً؛ لأن ما قبله منصوب وبالتالي لم يبق إلاّ أن يكون فصلاً لا موضع لـه أو توكيداً كما هو معروف في جواز التوكيد به للضمير المتصل.

أنـــا

م	الآيـــــــة	رقمهـــا	السورة
1	﴿ إِن تَرَنِ أَنَاْ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً﴾	39	الكهف

قال أبو جعفر[97]: " أنا فاصلة لا موضع لها من الإعراب، ويجوز، أن يكون في موضع نصب توكيداً للنون والياء، وقد قرأ عيسى بن عمر "أقلُّ" بالرفع على أنه خبر لـــ أنا ".

هـــو

م	الآيـــــــة	رقمهـــا	السورة
1	﴿ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً ﴾	20	المزمل

القسم الخامس: ما يتعين فيه ضمير الفصل:

1 – بين معمولي كان أو إحدى أخواتها:

هـــو

م	الآيـــــــة	رقمهـــا	السورة
1	﴿ إِن كَانَ هَـــذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾	32	الأنفال

"هو" عند الخليل وسيبويه[98] فاصلة لا غير مع نصب الحق، وأجاز بنو تميم رفعه على أنه خبر "هو" وهما خبر كان. وأقول: لا يتعين أن يكون الضمير في قوله ﴿إن كان هذا هو الحق﴾ فصلاً وإن كان يمتنع أن يكون مبتـــدأ؛ لأن ما بعده منصوب، لكن لا يمتنع أن يكون بدلاً من اسم الإشارة فهو بدل من مرفوع وهذا جائز.

2 – بين معمولي ظن أو إحدى أخواتها

هـــو

م	الآيـــــــة	رقمها	السورة
1	﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ ﴾	180	آل عمران
2	﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ الَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ ﴾	6	سبأ

هـم

م	الآيـــــة	رقمهـا	السورة
1	﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾	77	الصافات

ما خرج عن الضوابط البصرية

تبين فيما تقدم كيف ينقسم ضمير الفصل حسب الضوابط البصرية إلى ما يشترك مع غيره من حيث الاحتمال وما يكون نصاً في الفصلية، فإذا ما تركنا هذه الضوابط جانباً وأجلنا النظر في القرآن الكريم وجدنا بعض الضمائر يجوز أن تكون فصلاً، بيد أنها ليست نصاً في الفصلية، بحيث يتحتم كونها فصلاً فهي محتملة للفصلية من ناحية ولغيرها من ناحية أخرى، وذلك على النحو التالي:

1- **وقوع ضمير الفصل بين نكرتين**، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ [99] .

أجاز الفراء وهشام ومن تابعهما من الكوفيين الفصل بين نكرتين وحملوا عليه الآية السابقة .

2- **وقوع ضمير الفصل قبل الفعل المضارع.**

من شروط البصريين في ضمير الفصل أن يليه معرفة أو كهي في منع اللام[100] إلا أن غيرهم أجاز أن يليه الفعل المضارع[101]. وممن أجازه من البصريين المازني[102] وحجته في ذلك مشابهة المضارع للاسم.

والحقيقة أن الضمائر التي سبقت المضارع وهي محتملة للفصل ليست بالقليلة في القرآن فمنها:

نحن

م	الآيـــــة	رقمهـا	السورة
1	﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾	23	الحجر
2	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾	40	مريم
3	﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِـي وَنُمِيتُ﴾	43	ق

هـــو

م	الآيـــــــة	رقمهـــا	السورة
1	﴿ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾	104	التوبة
2	﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ﴾	25	الحجر
3	﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾	25	السجدة
4	﴿ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾	10	فاطر
5	﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ}﴾	13	البروج

3- وقوع ضمير الفصل قبل الماضي:

لم يقتصر منع وقوع ضمير الفصل قبل الماضي على البصريين، فقد منعه غيرهم، وعلّل المازني منعه بعـــدم مشابهته الأسماء حتى يقال فيه: كأنه اسم امتنع دخول اللام عليه[103] فلا يجوز عنده: زيد هو قال، واعـــترض عليه الرضى بأن قوله ليس بشيء[104].

ومع أن النحاة لم يجيزوا وقوع ضمير الفصل قبل الماضي فإليك الأمثلة القرآنية التالية:

نحن

م	الآيـــــــة	رقمهـــا	السورة
1	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً ﴾	23	الإنسان

هـــو

م	الآيـــــــة	رقمهـــا	السورة
1	﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾	43	النجم
2	﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾	44	النجم
3	﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾	48	النجم

4- وقوع ضمير الفصل بين الحال وصاحبها:

ذهب الأخفش إلى جواز وقوعه بين الحال وصاحبها كقراءة "هؤلاء بناتي هن أطهرَ لكم"[105] وتقول: هذا زيد هو خيراً منك[106]. كما أجاز ذلك عيسى بن عمر الثقفي أحد رؤوس نحاة البصرة، وقرأ: (هنَّ أطهرَ) بالنصب ، قال ابن عقيل: "وهو لحن عند أبي عمرو والخليل وسيبويه "[107]. قال السيوطي[108]: (وردَّ بأن أطهر نصب بـ "لكم" على أنه خبر "هن" فيكون من تقديم الحال على عاملها الظرفي.

وهناك آراء كثيرة حول ضمير الفصل رأيت تجاوزها لعدم وجود شواهد لها في القرآن الكريم الذي استقيت منه مادة هذا البحث.

دخول لام الابتداء على ضمير الفصل:

يجوز أن تدخل لام الابتداء على ضمير الفصل فلا تغير من أحكامه وأحواله التي سبق ذكرها إلا إذا كان ما قبل ضمير الفصل ضميراً.

فإذا كان ما قبل ضمير الفصل ضميراً و لم تدخل لام الابتداء على ضمير الفصل جاز فيه أن يكون فصلاً أو مبتدأ أو توكيداً. أما إذا دخلت لام الابتداء على ضمير الفصل فإنه يمتنع أن يكون توكيداً؛ لأن لام الابتداء لا تدخل على التأكيد[109].

ومن الآيات التي ورد فيها ضمير الفصل متصلاً باللام ما يلي:

نحن

م	الآية	رقمها	السورة
1	﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾	23	الحجر
2	﴿ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾	44	الشعراء
3	﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّآفُّونَ﴾	165	الصافات
4	﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾	166	الصافات

أنـــت

م	الآيـــــــة	رقمهـــا	السورة
1	﴿ إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾	87	هود
2	﴿ أَإِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ ﴾	90	يوسف

هـــو

م	الآيـــــــة	رقمهـــا	السورة
1	﴿ إِنَّ هَـــذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقّ﴾	62	آل عمران
2	﴿ وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم﴾	62	آل عمران
3	﴿ وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾	58	الحج
4	﴿ وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ الْغَنِيّ الْحَمِيد﴾	64	الحج
5	﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾	9 - 68-104-122- 140-159-175-191)	الشعراء
6	﴿ إِنَّ هَـــذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾	16	النمل
7	﴿ إِنَّ هَـــذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾	60	الصافات
8	﴿ إِنَّ هَـــذَا لَهُوَ الْبَلاَءُ الْمُبِينُ﴾	106	الصافات
9	﴿ إِنَّ هَـــذَا لَهُوَ حَقّ الْيَقِينِ﴾	95	الواقعة

هـي

م	الآيـــــة	رقمهـــا	السورة
1	﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾	64	العنكبوت

هـم

م	الآيـــــة	رقمهـــا	السورة
1	﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾	172	الصافات
2	﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾	173	الصافات

في قولـه تعالى ﴿ إن هذا لهو القصص الحق﴾ أفاد ضمير الفصل أن ما ذكر من شأن عيسى ومريم حـق دون ما ذكره المكذبون إذ إن سياق الآيات يتحدث عن عيسى ومريم عليهما السلام وذلك أن اليهود والنصارى قد خاضوا في أحاديث عنهما ليست صحيحة، فجاء بالفصل ليؤكد أن حديث القرآن الكريم عنهما هو الحديث البين والقصص الحق لا ما يدعون.

أما قوله تعالى ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ فقد جاءت الآية في ثمانية مواضع؛ لأن سياق ما قبلها في كل مرة يجعلها متمكنة في موضعها لا يلمح فيها أثر التكرار، وقد جاء بالفصل المؤكد باللام لأن سياق الآيـة في تكذيب تلك الأقوام رسلهم ثم ما جرى عليهم من العذاب، فإن الله ينصر أنبياءه وهو العزيز يعز من يشـاء، ويذل من يشاء وأولى الناس بعزته هم رسله الذين يبلغون رسالاته، فتكرار الفصل مع كل قصة أفاد ذلك.

وختاماً لعل هذه الجولة في ضمير الفصل التي حاول الباحث من خلالها أن يسجل ما وقعت عليه عينه من أراء النحويين بين دفتي بحث واحد، كما حاول أن يستقصي معظم شواهد ضمير الفصل لعلها أفرزت خلاصة مفادها: أن ضمير الفصل في كل التراكيب اللغوية التي ورد فيها لا ينفصل عن إفادة معنيي التوكيد والاختصاص. ففي قوله تعالى:﴿والله هو السميع العليم﴾ نجد أن التوكيد من جهة الدلالة كأنه قيل: والله ذاته أو نفسه السميع العليم.

كما نجد الاختصاص، وهو اختصاص الله تبارك وتعالى بهاتين الصفتين السمع والبصر اللتين يخالف فيهما الحوادث كأنه قيل: سمع الله هو المعتد به دون سواه، وعلمه المعوَّل عليه دون ما عداه تلك القيمة المعنوية التي أضفاها ذكر ضمير الفصل في التركيب ما كان لها أن تكون لو لم يذكر، وعلى هذا المنوال تجري جميع التراكيب المناظرة .

الهوامـــش

1- ابن الحاجب: الكافية في شرح النحو، تحقيق طارق نجم، ط1، دار الوفاء، جدة، 1407هـــ، 1986م، 23/1.

2- الاستراباذي، رضي الدين: الكافية في النحو بشرح الرضى، دار الكتب العلميـــة، بـــيروت، د.ت، 1 / 24.

3- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف الغرناطي: ارتشاف الضرب، تحقيق رجب عثمان محمد، مكتبـــة الخانجي، ط1، 1988م،1 /489.

4- إبن يعيش، موفق الدين: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، د.ت، 3 / 109.

5- الســـيوطي، جـــلال الدين: همـــع الهوامـــع، تحقيق عبد العال ســـالم مكـــرم، مؤسســـة الرســـالة، بيروت، 1992م، 67/1 .

6- ابن الأنباري، كمال الدين أبو البركات: الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محيي الديـــن عبـــد الحميد، المكتبة العصرية، صيداء-بيروت، 1987م: 2 / 706 – 707، وانظرالرضى: مرجع ســـابق، 24/1 وما بعدها، وابن يعيش: مرجع سابق، 110/3، السيوطي: همع الهوامع : 1/ 67.

7- أبو حيان: مرجع سابق، 1/ 489. وهذه العبارة بنصها في الهمع:1/ 68.

8- ابن مالك، جمال الدين بن محمد: شرح الكافية الشافية، تحقيق عبد المنعم هريدي، دار المأمون للـــتراث، مكة المكرمة، ط1،1982م، 244/1 – 245.

9- الرضى: 1/ 26 .

10- الرضى: 1/ 26، وانظر ابن هشام مرجع سابق: 2 / 550 ، السيوطي: 1/ 68.

11- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان:2 / 390.

12- المصدر السابق، 2/ 395.

13- المصدر السابق، 2/ 397.

14- سبأ: 6.

15- سورة الزخرف: آية 76، وقرأ بها عبد الله وأبو زيد النحويين: أبو حيان: البحر المحيط، 8 / 27 .

16- ابن يعيش: مرجع سابق، 3 / 113.

17- البقرة: 115.

18- الأعراف:26.

19- يراجع وراق، محمد غالب: الزيادة في القرآن،سلطنة عمان، 1986م، ص27 .

20- يراجع: ابن يعيش: مرجع سابق، 3 /113، وابن مالك: مرجع سابق، 1/ 244 وما بعدهـــا، وابـــن هشام: مرجع سابق 550/2، والسيوطي، الهمع: 68/1، والرضى: شرح الكافية،26/1 – 27، وابن عقيل: المساعد، 122/1.

21- الإنصاف: 707/2.

22- انظر: سيبويه: 392/2 –393. والآية من سورة الزخرف رقم : 76 ، وهي قراءة عبد الله وأبي زيـــد النحويين. أبو حيان: البحر، 8 / 27.

23- راجع: الفضلي، عبد الهادي: مختصر النحو، دار الشروق، ط1، 1986م، ص: 52.

24- المؤمنون: 102.

25- المائدة: 117.

26- الصافات: 165.

27- الكهف: 39.

28- المزمل:20.

29- ابن يعيش: شرح المفصل، 3 / 110.

30- المرجع السابق، 3 / 110.

31- الرضى: شرح الكافية، 2 / 457.

32- يشير إلى ما ذكره في باب التوكيد 372/2 ونصه: "وإذا كان الاسم نكرة لم يؤكد، إذ التأكيد – كما ذكرنا – لرفع احتمال عن أصل نسبة الفعل إلى المتبوع أو عن عموم نسبته لأفراد المتبوع ... ويســـتثنى من الحكم المذكور – أعني منع تأكيد النكرات – شيء واحد ، وهو جواز تأكيدها إذا كانت النكـــرة حكماً لا محكوماً عليه كقوله عليه الصلاة والسلام: "فنكاحها باطل باطل باطل".

33- ابن مالك: شرح الكافية الشافية، 1 / 244 .

34- ابن يعيش، شرح المفصل، 3 / 110.

35- أبو حيان: الارتشاف، 1 / 495.

36- قال المحقق "أي: ليس تأكيداً بالمعنى الاصطلاحي عند النحاة ".

37- ابن مالك: شرح الكافية، 2 / 457.

38- البقرة : 35.

39- ابن يعيش: شرح المفصل، 3 / 110.

40- أبو حيان: الارتشاف، 1 / 495 .

41- الرضى: شرح الكافية، 2 / 462 .

42- المرجع السابق، 2 / 462 .

43- المرجع السابق، 2 /462.

44- آل عمران: 62.

45- السيوطي: الهمع، 1 / 237.

46- الرضى: شرح الكافية، 2/ 463.

47- الزخرف: 76.

48- الكهف: 39.

49- هي قراءة عيسى بن عمر. ينظر البحر: 6 / 123.

50- الرضى: شرح الكافية، 2 / 462.

51- المرجع السابق، 462/2.

52- حسن، عباس: النحو الوافي، 1/ 247، 248.

53- المرجع السابق،1 / 248.

54- الصافات: 165.

55- الصافات: 166.

56- ينظر المرادي، بدر الدين بن حسن: الجنى الداني، تحقيق طه محسن، دار الكتب، الموصل، 1976م، ص121 - 127.

57- راجع الفضلي: مرجع سابق، ص53.

58- طه: 14.

59- البقرة: 32.

60- الطور: 28.

61- المائدة: 117.

62- أخرجه البخاري في صحيحه، مراجعة محمد علي القطب، والشيخ هشام البخاري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1417هـ 1977م:1/ 410 رقم : 1385 بلفظ" فأبواه يهودانه.

63- الصافات: 165.

64- ابن يعيش: مرجع سابق، 3 / 110، والآية من سورة البقرة رقم: 35.

65- المائدة: 117.

66- يوسف: 98 .

67- طـه: 14.

68- ديوان جرير بن عطية، تحقيق: نعمان أمين طه، دار المعارف، مصر، ط3، د.ت، ص 17.

69- ينظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين: المغني، 2/ 548، والسيوطي: الهمع، 1/ 8 ، ابن عقيل: المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق محمد كامل بركات، مركز البحوث واحياء التراث، مكة المكرمة، ط، 1982م، 1/ 122، ابن عصفور: المقرب، تحقيق محمد عبد الستار الخيردي، الفيصلية، مكة المكرمة، ط1، 1971م، 1/ 119، وابن يعيش:شرح المفصل، 3/ 110.

70- المؤمنون: 102.

71- النحل: 92.

72- ينظر: ابن هشام:2/ 547، والسيوطي:1/ 68.

73- المؤمنون: 10.

74- القصص: 58.

75- الكهف: 39.

76- الصافات: 165.

77- المزمل: 20.

78- هود: 78.

79- سيبويه:369/2 – 397. يراجع لهذه القراءة: أبو حيان: البحر، 5/ 247.

80- يراجع: النحاس، أبو جعفر: إعراب القرآن، تحقيق هارون غازي زاهر، عالم الكتب، بيروت، 1988م، 2/ 296.

81- العنكبوت: 52.

82- الأعراف: 113.

83- آل عمران:180.

84- فاطر: 10.

85- يراجع في هذه المسألة: الرضى: شرح الكافية، 1/ 25، وابن هشام: المغني، 2 / 548 .

86- النجم: 43 – 44 .

87- ابن هشام: شذور الذهب، ص 444.

88- آل عمران: 68.

98- النحاس: مرجع سابق، 184/1.

90- السابق، 206/1.

91- السابق 273/1.

92- السابق1/ 234.

93-الزمخري: الكشاف، 159/4.

94- النحاس، 211/1.

95- السابق: 190/1.

96- السابق: 252/1.

97- السابق: 457/2.

98- سيبويه: 253/1.

99- النحل: 92.

100- السيوطي: الهمع، 335/1 .

101- السابق: 339/1 .

102- الرضى: شرح الكافية، 459/1 .

103- السابق: 459/1

104- السابق: 460/1 .

105- ينظر البحر 247/3.

106- السيوطي: الهمع، 1/ 238

107- ابن عقيل: المساعد على تسهيل الفوائد، 121/1.

108- السيوطي: الهمع، 338/1 .

109- الرضى: 1/ 462 .